

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة في 2013/03/01 ر

### التَّحذِيرُ مِنَ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ

#### الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثِيلَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

إِتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَلَا تَنْسُوا يَوْمًا يُقَالُ فِيهِ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ الْفَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ] [ سُورَةُ الْحَشْرِ آيَةٌ 18 ].

تَقْوَى اللَّهِ إِحْوَةَ الْإِيمَانِ مَدَارُهَا عَلَى أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَذَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَأَجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ، اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي، وَكَلَامُنَا الْيَوْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ مَعْصِيَةِ عَدَّهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ أَلَا وَهِيَ الْكِبْرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. فَالتَّكْبُرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ وَهُوَ نَوْعَانِ الْأَوَّلُ رُدُّ الْحَقِّ أَيُّ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقُّ وَلَا يَلْتَزِمَ بِهِ وَيَقِفَ عِنْدَهُ وَالثَّانِي اسْتِحْقَاقُ النَّاسِ وَسَبْبُهُ نَاشِئٌ مِنَ الْقَلْبِ، وَإِنْ كَانَتْ مَظَاهِرُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ لَمَّا يَشْعُرُ بِالتَّكْبُرِ تَظْهَرُ آثَارُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، فَيَنْظُرُ

الْمُتَكَبِّرُ بَعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ إِلَى الْفَقِيرِ أَوْ يُعْرِضُ عَنْهُ تَرْفَعًا، أَوْ يَرُدُّ الْحَقَّ عَلَى قَائِلِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الصَّوَابَ مَعَ الْقَائِلِ لِكَوْنِهِ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًا أَوْ أَقَلَّ جَاهًا أَوْ يَتَكَبَّرُ فِي مِشْيَتِهِ فَيَمْشِي مِشْيَةَ الْخِيَلَاءِ لِلتَّكَبُّرِ. كُلُّ هَذَا مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَمْثَالِ الدَّرِّ - أَيِ النَّمْلِ الْأَحْمَرِ الصَّغِيرِ - يَطْوُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ".

فَعَلَيْكُمْ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ بِالتَّوَاضُعِ. فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعِ"<sup>1</sup> اهـ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَوَاضُعًا. سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مَرَّةً لِلْجُمُعَةِ وَلَبَسَ اللَّبَاسَ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْمُسْلِمُ لِلْجُمُعَةِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ مِيزَابِ دَارِ الْعَبَّاسِ دَمٌ فَرَحَّخِنِ دُجْحًا مَعَ مَاءٍ فَذَهَبَ وَعَسَلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يُزَالُ هَذَا الْمِيزَابُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ هَذَا الرَّسُولُ وَضَعَهُ فَقَالَ عُمَرُ يُعَادُ كَمَا كَانَ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ تَطَّلِعْ عَلَى ظَهْرِي، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَطَّلِعْ عَلَى ظَهْرِي، وَعَزَمَ عَلَيْهِ فَطَلَعَ الْعَبَّاسُ عَلَى ظَهْرِهِ وَأَعَادَهُ.

التَّوَاضُعُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ نَتِيحَتُهُ سَلَامَةٌ مِنَ الْفَخْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفَخْرَ مِنْ عَبْدِهِ سِوَاءِ كَانَ فِي الثِّيَابِ أَمْ فِي الْأَثَاثِ أَمْ فِي الْمَسْكَنِ أَمْ فِي نَحْوِ ذَلِكَ، بَلِ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلْفَخْرِ أَيِ لِإِظْهَارِ أَنَّ لَهُ عَلَى النَّاسِ مَزِيَّةً وَأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْفَاحِشَةَ لِلْفَخْرِ، أَوْ يَبْنُونَ الْبِنَاءَ الْجَمِيلَ لِلْفَخْرِ، أَوْ يَرَكَّبُونَ الْمَرْكُوبَاتِ النَّفِيسَةَ الْجَمِيلَةَ لِلْفَخْرِ، لَوْ عَجَّلَ اللَّهُ عُقُوبَتَهُمْ لَعَاقَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، لَكِنَّهُ يُؤَخِّرُ عَذَابَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَقَدْ يُظْهِرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُقُوبَةً عَلَى الْبَعْضِ فِي الدُّنْيَا لِيَعْتَبَرَ بِهَا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعْتَبَرَ.

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَمْشِي مُتَبَخِّرًا يَنْظُرُ فِي جَانِبَيْهِ، أَعْجَبَهُ ثَوْبُهُ وَشَعْرُهُ، تَهَيَّئَتْ شَعْرَهُ وَحُسْنُ شَعْرِهِ، ثُمَّ بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مُتَبَخِّرًا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ الْأَرْضَ فَبَلَعَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالتَّجَلُّجُلُ مَعْنَاهُ السُّوْخُ أَيِ النُّزُولُ فِي الْأَرْضِ مَعَ التَّحَرُّكِ وَالِاضْطِرَابِ الشَّدِيدِ مِنْ شَقٍّ إِلَى شَقٍّ.

<sup>1</sup> زواة البيهقي

فَالْفَخْرُ مَعْنَاهُ أَنْ يَفْعَلَ الشَّخْصُ مِثْلَ ذَلِكَ لِيُعْجَبَ بِهِ النَّاسُ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اخْتِصَاصٌ  
عِنْدَ النَّاسِ بِالتَّظَرِّ إِلَيْهِ وَالتَّفْخِيمِ فَإِذَا لَبَسَ لِبَاسًا جَمِيلًا لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا اقْتَنَى أَثَاثًا جَمِيلًا  
لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا رَكَبَ سَيَّارَةً جَمِيلَةً لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا بَنَى بِنَاءً لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ أَيْ  
مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَعَظَائِمِهَا أَمَّا إِذَا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلتَّجَمُّلِ فَقَطْ وَلَيْسَ لِلْفَخْرِ فَيَلْبَسُ التَّوْبَ الْأَنِيقَ  
لِلتَّجَمُّلِ وَيَفْرُحُ بِنَفْسِهِ لَا لِلْفَخْرِ وَيَرْكَبُ السَّيَّارَةَ الْفَاحِشَةَ لِلتَّجَمُّلِ لَا لِلْفَخْرِ فَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِ.  
أَخِي الْمُؤْمِنَ، عِ مِيَّ مَا أَقُولُ. أَخِي الْمُؤْمِنَ، الْمُتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ الْمُقْبِلَ إِلَى الطَّاعَةِ الْمُدْبِرَ  
عَنِ الْمَعْصِيَةِ اسْتَمِعْ إِلَى مَا أُلْقِيَ إِلَيْكَ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

رَغِيفُ خُبْزٍ يَابِسٍ	تَأْكُلُهُ فِي زَاوِيَةِ
وَكُوْزُ مَاءٍ بَارِدٍ	تَشْرِبُهُ مِنْ صَافِيَةٍ
وَعُرْفَةٌ صَيِّقَةٌ	نَفْسِكَ فِيهَا خَالِيَةٍ
أَوْ مَسْجِدٌ بِمَعْزِلٍ	عَنِ الْوَرَى فِي نَاحِيَةٍ
تَدْرُسُ فِيهِ دَفْتَرًا	مُسْتَنَدًا بِسَارِيَةٍ
مُعْتَبِرًا بِمَنْ مَضَى	مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ
خَيْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ فِي	فِيءِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ
تَعْقُبُهَا عُقُوبَةٌ	تُصَلِّي بِنَارِ حَامِيَةٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَوَاضِعِينَ الرَّاهِدِينَ الصَّالِحِينَ الْعَابِدِينَ النَّاسِكِينَ، الْوَالِهِينَ بِمَحَبَّتِكَ  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

## الخطبة الثانية:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) سوره الأَحْزَابِ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢). سوره الْحَجِّ. اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللّٰهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللّٰهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَآمِنِ رَوْعَاتِنَا وَأَكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللّٰهُمَّ أَجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَبِيِّ رَحْمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. أَذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يُبْنِكُمْ وَأَشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَعْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.